# خيالات على الجسر القاتم

قصة بقلم فاروق وادي

بجذل صاخب ، صفق بجناحيه وهو يعبر الافق الغربي .

كان الشهر ، يمتد تحت ناظريه شريطا حزينا . تنبعث من جسده رائحة الصمت والقسوة والانتظار .

بسرعة الحلم ، مر في ذهنه شريط جسر قاتم ، يمتد عشرة أيام أو ما يزيد ، وانداحت في وعيه الصورة ...

كان يدلف عبر الجسر عندما اعترضه السياف مجدور الوجه ، ومن عينيه تتفجر أحقاد مجنونة .

السماء ، كانت تمطر قارا أسود . كل شيء في المدينة تخضب باللون الاسود . بيوتاتها ، واكواخها . الناس ، والشوارع ، والازقة. الحيوانات . حتى الهواء أضحى بلون البارود ، وأصبح للخبز طعم الدم .

تمزقت شفتا السياف عن سؤال ، وعيناه تتفرسان الشاب بشراسة :

ـ « ما الذي تحمله في قلبك ؟؟ » .

ـ « حلم » .

ـ « حلم ؟؟ » .

كزّ السياف على اسنانه بقوة ، حتى تفجر من جلورها دم أزرق ، وتساءل :

ـ « بماذا تحلم ؟؟ » .

ـ « أحلم بامرأة .. ذات عيون زرقاء .. وشعر أخضر . امرأة تعشق العصافير المهاجرة اليها عبر النهر ، وتحمي العصافير المعششة في صدرها » .

هدر السياف ، وكان الانفعال يلون وجهه بالفتامة :

ـ « الا تعلم ان حلمك هذا يسبب الارق لمولانا السلطان ؟ » .

لم يتفوه الشاب بكلمة ، الا ان السيف انغرس في بدنه وشق صدره .

مد السياف أصابعه الى التجويف الذي صنعه السيف، واقتلع قلب الشاب من بين حناياه . ضغط السياف على القلب بيده . وكان الحقد في جسده غرابا مجنونا . ثم هوى بضربة سريعة بسيفه ، شقت القلب نصفين . كانت فيه امرأة ، ليست ككل النساء . امرأة.. ذات عيون زرقاء .. وشعر أخضر . امرأة تعشق العصافير المهاجرة اليها عبر النهر ، وتحمي العصافير المعششة في صدرها .

قال السياف ، وقد ارتسمت على جبينه شمس مسلولة :

ـ « هذه هي ؟؟ » .

أوما الشاب براسه ، وهطلت سحابة حزن في عينيه .

صاح السياف في رجاله :

ـ « أيها الرجال .. ان هذه المراة مستباحة لكم . شرعوا ساقيها للريح . انتهكوها . احرقوا صدرها واقتلوا كل العصافير . علقوها من شعرها ، وتعالوا .. تعالوا لنشرب نخب مولانا السلطان ».

سار الشاب بضع خطوات حتى اجتاز الجسر ، ثم حدق الى السماء .كانت لا تزال تدلق مطرها الاسود . خيل اليه في تلك اللحظة ان الشمس مذبوحة ، فوقع مغشيا عليه .

اليوم ، صحا من غيبوبته الطويلة . شعر في البداية انه فقد القدرة على الحلم .

هب واقفا ، ثم اندفع يركض .

من بعيد . لمح شبح انسان . ركض اليه . ثمة كهل يجلس على قارعة الشارع ، يحمل بين يديه كتابا قديما مغبرا ، وشعر ذقنه الطويل ينفرش على صدره كتلة قطن بيضاء . اقترب الشاب منه وساله :

ـ « ماذا تفعل هنا ايها الشيخ ؟؟ » .

ـ « انني احلم » .

ـ « تحلم .. بماذا تحلم ؟؟ » .

ـ « أحلم بامرأة .. ذات عيون زرقاء .. وشعر أخضر . امرأة تعشق العصافير المهاجرة اليها عبر النهر .. وتحمي العصافير المعششة في صدرها » .

ـ « انك تخرف أيها العجوز ، لقد استباحوا هذا الحلم . شرعوا ساقيها للريح وعلقوها من شعرها . نعم .. هناك .. على الجسر الذي يمتد عشرة أيام أو ما يزيد » .

ندت عن الشيخ ضحكة استهزاء ، وسطعت شمس على وجهه :

ـ « خيل اليهم » .

تساءل الشاب باستغراب :

ـ « كيف ؟؟ » .

ـ « لان العصافير ما زالت تحلم » .

ـ « تحلم .. » .

ـ « وفي الصباح تترجم احلامها » .

حدق الشاب في الشمس . وكانت ما تزال رغيف جائع ، والسماء كانت تنغل بالعصافير ، فطوقه شعور بالسعادة .

وبلمحة ، كالبرق ، خاطفة ، صنع لنفسه جناحين ، وانضم الى جوقة العصافير المهاجرة عبر النهر . في تلك اللحظة ، خفق قلبه ، وعرف ماذا يعني ان يحلم عصفور بامرأة ، امرأة ذات عيون زرقاء ... وشعر اخضر .. امرأة ..

الجامعة الاردنية ( عمان )

فاروق وادي